مكة وحمورابي

الأستاذ عبد الحق فاضل

ندخل الموضوع رأساً ، دون مقدمات ..

يقول الباحثون .. المستشرقون .. ان اسم (مكة) مقتبس من الحبشية (مكورابا) : معبد ، أو هيكل ، لكنهم على عادتهم لم يتساءلوا من اين جاء اسم مكورابا هذا .

ثم لماذا لم يقولوا على العكس ان (مكورايا) مقتبس من (مكة) ؟..لاأدري.ذلك ديدنهم..كلما شاهدوا كلمة مشتركة بين العربية وغيرها قالوا ان العربية هي الجهة المستفيدة . حتى (الخيمة) زعم اللغويون العرب وغيرهم ان اسمها هذا مستعار من الحبشية ، مع أن الخيمة من الزم لوازم البداوة — لا الحضارة — ان كانت ذريعة الحضارة هي التي تغريهم في كثير من الاحيان بهذا الظلم، أو الجهل . كان في وسعهم ان يقولوا بكل سهولة ان العربي البدوي حين هاجر الى الحبشة لف لغته في خيمته وحملهما معه الى حيث أنشأ اللغات الساميّة الحبشية من جعزية وأمهرية وغيرهما .

ولقد كان المسلمون هم الذين تفطنوا الى هذه الصلة الاشتقاقيّة بين مكة ومكورابا لوجب عليهم أن يقولوا عكس المستشرقين بأسبقية مكة . فذلك تطبيقاً للآية : «إن أول بيت وضع للناس للّذي ببكّة» .

لكن تعالوا ننظر ماذا قال المسلمون في تسمية مكة .

تقول المعاجم ..كلا .. دعونا مما تقول المعاجم ، فاننا لم نجد فيها شيئاً ذا بال يخرج عما اورده ياقوت .

يذكر ياقوت في معجم بلدانه آراءاً شتّى غير منسقة ثم يبدي من عند نفسه رأياً له ، ثم يعود الى سرد آراء الآخرين المتنوعة الشتّى . ولنوردها مختصرة مع شيء من الترتيب كما يلي : وللقارىء ان يضحك من بعضها اذا هو شاء .

«قال بعضهم : مكة هي بكة والميم بدل من الباء كما قيل ما هذا بضربة لازب ولازم» . . وهذا صحيح كالذى سيثبته لنا التأثيل فيما يأتي من بقية الحديث .

«وقيل انما سميت بكة لان الاقدام تبُك بعضها بعضاً ... وقيل لازدحام الناس فيها» .

«وقال الشرقي القطامي : انما سميت بكة لان العرب في الجاهلية كانت تقول لا يتم حجنا حتى نأتي مكان الكعبة فنمُك فيه أي نصفر صفير المكّاء (زنة الرمان) حول الكعبة ، وكانوا يصفرون ويصفّقون بأيديهم اذا طافوا بها . والمكّاء بتشديد الكاف (وضم الميم) : طائر يأوي الرياض» .

«وقال ابو بكر الانباري : سميت مكة لانها تمك الجبّارين أي تذهب بنخوتهم» !

«وقال آخرون (لا ندري من هم): سميت مكة لانها لا تفجر بها أحد إلا بكّت عنقه فكان يصيح وقد التوت عنقه» !

«وقال قوم : سميت مكة لانها بين جبلين مرتفعين عليها وهي في هبطة بمنزلة المكوك» !

«ويقال : انها سميت مكة لازدحام الناس بها من قولهم قد امتك الفصيل ضرع امه اذا مصه مصاً شديدا» !

ويلاحظ احدهم (لا يذكر الحموي من هو) انه لا مشابهة بين مص الفصيل ضرع امه وازدحام الناس ، فيحاول ايضاح الامر فيبدي أنهما قولان : احدهما انها "سميت مكة لازدحام الناس فيها» أي من معنى البك ، بالباء.. والثاني "لان مكة عُبدت الناس فيها فيأتون من جميع الاطراف من قولهم امتك الفصيل أخلاق الناقة اذا جذب ما فيها جذباً شديداً فلم يُبق فيها شيئا . وهذا قول اهل اللغة» ! فهذا يترجم المص الى الجذب والجذب الى قدوم الناس (أي انجذابهم) الى مكة من جميع الاطراف.

هنا ينزل الحموي بنفسه الى الميدان ليدلي بحل من لدنه جذري للمشكلة فيقول : «قال عبيد الله الفقير اليه: وجدنا أنها سميت مكة من مك الثدي أي مصه لقلة مائها لانهم كانوا يتمكون الماء اي يستخرجونه . وقيل انها تمك الذنوب اي تذهب بها كما يمك الفصيل ضرع امه» . تخريج حسن – اي ما يخص قلة الماء – لولا إلحاقه به مك الذنوب ! ولله في مفسّريه شؤون ..

لا نريد الزراية بهذه الآراء مهما بعُد بعضها عن المنطق وقرب بعضها من السخف ، فانما هي محاولات من السلف للبحث على طريقتهم عن حقائق الاشياء وإماطة الحُجُب عن اسرارها .. لكننا غير قادرين أن نساوي بين غثها وسمينها في مقياس من التقدير واحد .. مع أننا سنرى انها جميعاً على خطأ .

قد رأينا فيما تقدم ان بعضهم خلط بين تسمية بكة ومكة ، وبعضهم عد بكة ومكة شيئاً واحداً من عمل الإبدال . لكن اكثرهم يقررون في مختلف المصادر ان (بكة) هي البيت او الحرم او الكعبة ، وأن (مكة) هي ما حول ذلك أو القرية أو بطن الوادي . فذلك على ما يظهر لانهم وجدوا اسم (بكة) في القرآن مرة واحدة و (مكة) مرة واحدة اخرى ، وفي الاولى يقترن اسم بكة بالبيت في الآية التي سبق إيرادها : «إن اول بيت وضع للناس للذي ببكة» فاستنتجوا ان المقصود بها هو البيت نفسه .. وفي الثانية يقترن اسم (مكة) ببطن مكة في الآية : «وهو الذي كف ايديهم عنكم وكف أيديكم عنهم ببطن مكة» فاستنتجوا أن المراد بطن الوادي .

ولا اعرف لماذا لم يلاحظوا – العلماء المسلمون – وجه الشبه بين مكة ومكورابا ، مع أن بعض الصحابة والتابعين ومن تلاهم يعرفون الحبشية ، وبعضهم أحباش – مثلما لحظه المستشرقون المتأخرون .

مهما تكن الحال فان ملابسات ومقارنات لغوية

وتاريخية جعلتني أعتقد أن تسمية (مكة) قد جاءت عن طريق يختلف عن كل هذا كل الاختلاف .. مما يمكنني الآن أن اقدمه نموذجاً آخر – بالاضافة الى ما سبق أن قدمت من نماذج في مختلف المناسبات اللغوية – من نشوء اللغة وتكونها من الرس البدائي وتنقله في مراحل التطور المتدرج في تحريف الالفاظ وتحوير المعاني الى ان صار يطلق على أقدس موضع عند مئات الملايين من بني الانسان .

هل لدى الاعزاء القراء مانع من ان نتحدث قليلا في تسمية بغداد ؟ نؤكد لهم ، وسيرون مصداق تأكيدنا ، أن هذا الانتقال لن يكون خروجاً عن صدد عنوان موضوعنا الذي نعترف أنه «مكة وحمورابي» .

كان المعتقد – سطحيا – عند بعضهم ان التسمية فارسية من (باغ) : حديقة و (داد) : عطاء أو تأسيس ، فيكون معنى (بغداد) شيئاً من معنى الحديقة او الجنة .

ثم التفت من هم اعلم بالفارسية من اولئك الى أن (بغ) بالفارسية : اسم إلآه قديم ، فصار معنى اسم بغداد عندهم : «مؤسسها الله» ، وفسّره آخرون بانه يعني «أله حبيبي» .

أيّاً كان الصواب فقد جاء الاكتشاف الثالث ليظهر أن أصل الالاه (بغ) الفارسي هو الالاه بكه (BAGA) البابلي . واكثر من هذا أنهم عثروا على اسم بغداد في أكاتيب مسمارية معاصرة لحمورابي ، أي في القرن الثامن عشر (ق.م) .

ثم تطور اسم بغداد في العربية فصار ينطق كذلك : بغذاذ ، وبغدان ، ومغدان ...

ها قد وصلنا الى قمة المشكلة .

فما أثل اسم الالاه (بكه) ؟ بل ما رسّه .. يا ترى ؟

بج بج بج بج بج بج ...

هذا الصوت لابد انكم تعرفونه . اين سمعتموه ؟ نعم ، خرزتم ! إنه مطلع اغنية محمد فوزي :

مامه .. زمانها كايّه كايه لعب وحاكات !

صوت رجل يحاول إسكات طفل يبكي . وهو ليس محاكاة لبعض الاصوات الطبيعية او الصنيعية التي تألّف منها معظم ألفاظ المعجم من قبيل : صج .. هو .. قط .. مص .. شم ...

وانما هو واحد من الاصوات التي نقترح تسميتها «مرتجلة» أي يتفوه بها المرء في بعض حالات له شعورية أو انفعالية كيفما اتفق ، اي بحسب ما يتبادر إلى جهاز أعضائه النطقية مثل قوله : بس بس لدعاء الحيوان أو زجره (1). وقد اتفق لاحدهم أو إحداهن ، في غابة معربية ، أن قال أو قالت لطفل يبكي : بج بج بج بج ، لإسكاته ، فذهبت مثلا ، وتناقلتها غابات وأجيال .

لعلكم تحسبون أني أشتط في التخريج إذ أعزو هذه اللفظة العامية الى ذلك الاصل الهمجي البدائي العريق . فمعذرة . إني لم أخبركم بعد أنها كلمة فصيحة . تقول المعاجم – بعضها – بجبجت الصبي : لاعبته وسكّتّه بالمغاغاة والغناء ! وهذا معنى متطور طبعاً ، فأصل البجبجة من غير ريب هو أن يقال للصبي بج بج بج .. على طريقة محمد فوزي ، ثم ظهرت المناغاة والغناء فيما بعد . لكن بعض المعجميين القدامى الذين لم تكن الدراسات اللغوية قد اكتملت في زمانهم لم يكونوا يعرفون هذا المعنى (ولا ننس ان الكثيرين منهم لم يكونوا من العرب الاقحاح او كانوا من العرب المحليين الذين يجهلون الكثير مما ليس من لغة قبيلتهم أو بلدهم). فابن منظور – صاحب «لسان العرب» – يقول : «البجبجة

---

1 – تطرقنا الى صوت «بس بس» وما تفرع منه من بعض المعاني في مناسبة لغوية اخرى .

شيء يفعله الانسان عند مناغاة الصبي بالفم» ! وعنه نقل صاحب القاموس – الفيروزابادي – لكنه لم يفهم معنى «بالفم» – مثلي – فحذفها ، ثم اختصر تعبير «يفعلـه الانسان» .. فقال : «شيء يفعل عند مناغاة الصبي» ! ولكان أمثل بواضعي معجمين خطيرين ان يُغفلا ذكـر البجبجة من أن يشرحاها على هذا النحو المزري الذي هو أحوج منها الى الشرح . ولئن كان محمد فوزي أعلم من هذين الجهبذين بذلك الشيء الذي «يفعل» عند إسكات (أصبح من مناغاة) الصبي .. فهو لم يكن يقدر أن للأمر كل هذه الخطورة العلمية – الي سنرى .

من البجبجة نشأ قولهم (بخ بخ) .. «تقال عند تعظيم الانسان، وعند التعجب من الشيء، وعند المدح، والرضا عن الشيء» – (اللسـان) .

من حقكم الآن ، بل من الحق عليكم أن تسألونـا كيف ندعي أن (البخبخة) قد نشأت من (البجبجـة) وبينهما هذا البون في اللفظ والمعنى ؟

اما من ناحية اللفظ فان هذه العربية حافلة بكلمات تنطق على وجهين او اكثر ، فيا طالما ابدلوا الحروف بعضها ببعض ، حتى الحروف المتباعدة في المسامـع ومخارج النطق . ومن امثلة إبدالهم الخاء من الجيـم بالذات أن الجابية تنطق الخابية أيضاً .. وأزلخت الباب : أزلجته .. والزمخرة هي الزمجرة .. بل ان المجنـون المسكين سموه كذلك المخنون !.. ويجدر بالذكر في هذا المقام أن إبدال الجيم خاءاً قاعدة شبه عامة في الاسبانية مثل خوزيه (= جوزيف) .. وخوان (= جوان) ...

ليس مستغرباً إذن أن نطقوا البجبجة : بخبخة .

واما من ناحية المعنى فقد كان أصل معنى البخ هـو : سكون الغضب . يقول المعجم : بخ فلان : سكـن من غضبه ، او اعجب بنفسه . فواضح أن هذا أصله سكون الصبي من بكائه . ذلك بان الطفل حين يسكت من العويل سرعان ما يرضى فيضحك ويلعب والدموع ما تزال تملأ عينيه وتبلل وجهه ، وقد رضي عن العالم، كأن لم يكـن شيء . فمن هنا صارت (بخ بخ) تعني «سكون المرء من غضبه» و «الرضا عن الشيء» كما تقدم بنا من النـص المعجمي . ومن نتائج رضاك عن الشيء أن تمدحـه ، فصارت البخبخة تعني المدح أيضاً ، ثم التعجب ، ثـم الاعجاب بالنفس ، ثم تعظيم الانسان .. وكل ذلك اورده (اللسان) ، آنفا ، سوى رتبناه هنا منطقياً حسب تسلسله في النشـوء .

جاء في المعجم كذلك ان بخ : كلمة فخر ، وبَخْ بَخْ : تعظيم الامر وتفخيمه . نطقوها : بخ بخ (بفتح فسكون). وبخ بخ (بالتخفيف والكسر مع التنوين) ، وبخٍّ بـخٍّ (مثلها مع التشديد) .

ثم نطقوها بالهاء كذلك : به به ، بنفس حـالات التخفيف والتشديد ، وبنفس المعنى . ومن هذه المـادة الهائية نشأ (البهاء) في الفصحى و (الباهي) بمعنى الجيد والفاخر في بعض الدارجات (من : بـها يبهو ، وَبَهِـيَ يَبْهَى ، بهاءاً : حسُن وظرف) . ومن هنا نشـأ فـي الفصحى البهر والباهر ، ومنه زهر (البهار) الذي دخل الفارسية بدون اداة تعريف (بهار) : ربيع .. وعـلى العكس من ذلك في العربية صارت لفظة (الربيع) تعني : الكلأ والخضـر .

ومنها بَهّ فلان بهاً (زنة شدّ شداً) : نبُل وزاد فـي جاهه ومنزلته عند السلطـان .

ثم صار (البخّ) يعني : «الرجل السريّ» اي الشريف الرفيع القدر في المجتمع ، وليس بخاف ان السـراوة كانت تعني عند العرب ما يشبه معنى الارستقراطية بالتعبير الحـديث .

في لغة القرعيز وما شاكلها من بعض لغات تـلك المناطق نعثر على البخّ بصيغة (بكّ : bag) لقبا يـدل

على النبل والتشريف ، يطلقونه على رئيس القبيلة أو أمير البلد . وقد ظهر اللقب في التركية على العهد العثماني ومنها تسرب الى الاقطار العربية بصيغة (بكّ bag) و(بيك beg) و (بيه beh) . ثم باي تونس أي سلطانها . وقد الغي اللقب رسمياً في تركية منذ إلغاء الخلافة ، ثم في الاقطار العربية واحداً بعد واحد .

وربما كان من (البخّ) أيضاً لقب (باشا pasha) الذي صار اعلى من لقب (البيكّ) بل أعلى الالقاب الرسمية لدى الدولة العثمانية يلقب به الصدر الاعظم (رئيس الوزراء) وغيره من رجالات الدولة وكبار قادة الجيش . ومن تركية انتقل اللقب الى الاقطار العربية ثم كان من شأنه في الإلغاء ما كان من شأن (البيك)

يظنون أن أثل الباشا هو (بادشاه) في الفارسية ، لكننا نحسب عكس ذلك اي أن (بادشاه) هو المشتق من (باشا).

يقول المعجم الفارسي «**بادشاه : من باد : حارس وشاه : أصل ورب ورئيس**»(1) . والكلمة ما زالت تعني بالفارسية : الملك عامة ، عدا ملك ايران فهو يسمى (شاه) . ونظن شاه هذه من (باد شاه) نفسها .

ويقول (برهان قاطع) : «**شاه : الاصل والرب. ولما كان الملوك بالنسبة الى الناس هم الاصل والرب سموا شاه**» ومن معاني الرياسة في (شاه) اطلقوا في اجيال خلت (شاهبندر) التجار على رئيس التجار ، بمثابة ما يسمى الآن رئيس غرفة التجارة في التنظيم المعاصر .

بعد الشاه ظهر في الفارسية تعبير (شاهان شاه) ومعناه اللفظي : ملك الملوك ، استعملوه بمعنى الامبراطور. ثم صار ينطق مخففا (شاهنشاه) الذي صار يعني «**الباري تعالى**» كما يقول ابن خلف تبريزي « **أو الذي يصبح الآخرون بمعونته ملوكا**» .

هكذا تنتقل الكلمة من البجبجة الى البخّ ، الى البيك ، الى الباشا .. الى الشاهنشاه : ملك الملوك، ثم رب الارباب.

نتحول الآن الى (البعل) وهو بالعربية معجميا : رب الشيء ومالكه أو مستحقه او صاحبه . فاذا كان كل من الرب (اي صاحب الشيء) والبعل والشاهنشاه قد أصبح يعني الإلاه فمن اليسير أن ندرك كيف صار (بكّه) المتطور من (البخ) بكل معانيه الفخمة تلك ، يعني الالاه أيضا .

أعترف بانني لا اعرف الكثير عن هذا الالآه الساميّ الخطير (بكّه) ، لكني اجد اسمه بصيغة (بك bak) في (بعلبك) : البلدة اللبنانية المعروفة . يقول ياقوت «**بعلبك : اسم مركب من بعل : اسم صنم ، وبك : أصله من بك عنقه أي دقها ، وتباكّ القوم اي ازدحموا . فإما أن يكون نُسب الصنم الى بكّ وهو اسم رجل أو جعلوه يبكّ الاعناق . هذا ان كان عربياً ، وان كان أعجميا فلا اشتقاق**». العبارة الاخيرة تنبيء انهم يقولون ذلك تخريجاً من لفظتي بعل وبك ، لا عن علم سابق بأن الكلمة اسم رجل او غير ذلك .

بعد ان راينا اسم الالاه بعل قد ظهر في الشق الاول من اسم (بعلبك) واسم الالآه البابلي (بكّه) يؤلف الشق الثاني منه يبدو طبيعياً جداً ان نجد هذا الاخير اسما للبلدة العربية المقدسة (بكّة) .

والغريب ان قدامى اللغويين قد ربطوا عن طريق الخطأ بين التسميتين ، دون أن يدروا . لا لوم عليهم ان يجهلوا أن (بك) إلآه مثل (بعل) لكننا نسجل عليهم استقراباً صغيراً من تعليلهم تسمية كل من بعلبك وبكة بازدحام الناس ودق الاعناق . ثم لا يلحظون — فيما اطلعنا عليه من مصادر — هذا الشبه الصريح بين التسميتين

---

1 — ابن خلف تبريزي — «برهان قاطع» — تأليف عام 1062هـ .

الخاطئتين . فلا هم اهتدوا الى الصواب ولا هم ادركوا الصلة بين الخطأين .

كيف نطقوا اسم (بكة) أول الامر ، لاندري. لكن الاسم المعروف ينطق بالكاف العربي المشبع كما في اسم (بعلبك) – لابالكاف المخفف كما في اسم (بكه Baga) البابلي .

بل لعل هذا النطق العربي (بك) هو الاثل المتطور من (البخ) ، فاني لأ حسب انهم أطلقوه أولا على هذ المعبد في مكة – الكعبة . ولا نعلم هل قبل ذلك أم بعده ظهر الاسم في ديار الشام عند الكنعانية حيث أضافوه الى إلآه آخر في اسم (بعلبك) تأكيداً لصفة الالوهية أو بمعنى مقدس آخر .

والذي نُخمّنه ان اسم (بكّ) الذي كان يدل على الكعبة ، قد عم مع الزمن فصار يطلق على (القرية) المحيطة به . ولما كانت اسماء المدن مؤنثة في العربية فقد أنّث بعضهم (بكّ) فصار (بكّة) ، وشاعت هذه الصيغة واستقرت ونُسيت صيغة المذكر الاولى .

وكما ارتحلت صيغة (بك) الى ديار الشام لتظهر في (بعلبك) ظعنت صيغة (بكّة) إلى الرافدانية (أرض الرافدين) لتظهر في البابلية بصيغة (بكّه Baga). وهذا هو التعليل الوحيد الذي يخطر على بالنا ، لظهور الهاء أو الفتحة على آخر الصيغة البابلية .

لا نرى مناصاً من اعادة هذه الآية مرة اخرى ، وبتمامها : «إن أول بيت وضع للناس كلّذي ببكة ، مباركاً ، وهدى للعالمين» . فهل كان عرب الجاهلية يقولون بأنه اول بيت ام ان القرآن هو الذي يقرر ذلك لاول مرة ؟ لئن كان العرب يعرفون ان الذي ببكة هو أول بيت مقدس وضع في ذلك البلد – مما كانوا يتوازنونه في تاريخهم كغيره من بعض منقولات اخرى أيدها القرآن فلعمري لقد صدقت مأثوراتهم . وان كان القرآن قد قرره لاول مرة فلا جدال ولا تعقيب .

بعد أن اكتشفنا الصلة بين مكة والالاه الكنعاني (بك) في بعلبك من جهة ، والالاه البابلي (بكه) في بغداد من جهة ثانية ، نرجع الى سؤالنا الذي ألقيناه على أنفسنا في طلائع هذا الحديث : ما منشأ كلمة (مكورابا) الحبشية إذن ؟

بعد حين من الدهر لم يكن في ذاكرة التاريخ شيئاً مذكورا نطقوا بكة بالميم (مكة) . ومثل هذا كثير الحدوث في العربية نكتفي من نماذجه بما تقدم بنا من تسمية بغداد: (بغدان ومغدان) .

ولا بد أن الاسم الجديد (مكة) قد انحدر جنوباً الى اليمن . والارجح انهم استعملوه كما هو أول الامر ، ثم حوروا لفظه بنفس معناه ، ثم بمعان أخرى . و من ذلك تكونت صيغة (مكورابا) . أي أن الكلمة إنما ارتحلت إلى الحبشة عن الطريق الجغرافي الطبيعي– اليمن.

لكن كيف أصبحت مكة تنطق (مكورابا) ؟ و هل تم ذلك في الحبشة أم في اليمن قبل ذلك ؟ الافضل أن ندعو أخانا القاريء إلى إعمال فكره معنا في هذه الجولة الاستكشافية .

أن يأذن لنا قبل كل شيء أن نسأله هل لاحظ العلاقة اللفظية بين اسم مكو رابا وحمورابي ؟ و هل هذا التماثل الظاهري دلالة معنوية أم هو مجرد تشابه لفظي ، سانح ؟

لا ندعي أن أحد الإسمين مستعار من الآخر ، لكننا نزعم مبدئيا أن الشطر الثاني من الاسمين ربما يعني شيئاً واحداً ، إن لم يكن الشطر الاول منهما كذلك .

حمو رابي يتألف من (حمو : الحمو ، رب الاسرة رابي : الكبير ، الجليل) . أما مكورابا فيقولون أنه يعني المعبد و حسب. لكننا نتوهم أنه هو أيضاً (= مكو : مكة ، المعبد + رابا : الكبير ، الجليل) .

و هناك من يفسر اسم حمورابي بأنه (حمو : حارس

حام + رابي : آلهة) أي حامي الآلهة . أي أن الامر يتوقف على معنى (رابي) وأثلها العربي بالدرجة الاولى هل هو من (الرب) الاله أم من (الرابي) المرتفع السامي.

ونحن و إن كنا نرجح التفسير الاول ، لانرى هذا التفسير الثاني بمستطيع أن يفصم الصلة بين (حمورابي) و (مكورابا) ، فهذا الاخير أيضاً يمكن أن يكون (مكو : مكة ، معبد + رابا : آلهة ، أو إله) ، أي معبد الاله أو الآلهة .

«إن الأسئلة تنهمر علينا في كل خطوة . و السؤال الذي يطل برأسه هنا هو : ألا توجد صلة حقاً بين كلمتي (حمو) و (مكو) ؟

لا نستبعد وجود الصلة. فان أصل معنى (مكو) هو الاله أي (بك) كما نعلم . ولعله صار يعني الاله الحامي ولاسيما أن كل انسان كان يتخذ لنفسه حاميا من أحد الآلهة فان صح هذا قد يصح أيضاً أن (حمو) صارت تطلق على أبي الاسرة باعتباره حاميها المسؤول عنها ، ثم على أبي الزوج لانهم كانوا يتزوجون في بيت أبيهم الذي يبقى محتفظاً بالسلطة الابوية . وكما صعد رب البيت فصار يعني (الرب) الإله أيضاً هبط الاله الحامي فصار حامي الاسرة ، أي حماها ، أبا الزوج ، ثم شمل أبا الزوجة ، تعميماً . ومن ثم (الحماية) قد ظهرت في العربية عن هذا السبيل . وعندئذ يكون من السهل أن نتصور انتقال (حمو) بمعنى الحامي أو الحمي او الرب الى لغة العموريين ، قوم حمورابي . فعلى هذا يكون اسم بكة أقدم كثيراً من حمورابي .

سؤال آخر . لماذا قلنا أننا نرجح التفسير الاول لاسم حمورابي ، أي (الحمو الكبير) ؟

جواب آخر . لانه يساعدنا على تفسير إضافة (رابا) بمعنى الكبير الى (مكو) . وبعبارة أصح لان منطق الاحداث في التاريخ يلمّح تلميحاً يكاد يكون تصريحا ، الى ذلك.. حتى لو كان اسم حمورابي يعني أي شيء آخر.

معلوم أن (أبرهة) شيّد معبداً فخماً في اليمن ينافس به الكعبة ، وحاول جهده ان يصرف العرب اليه عن مكة ، فلم يفلح ، في حكاية مشهورة .

أكبر الظن عندنا ان هذه لم تكن المرة الاولى ، بل الاخيرة . لو قد أفلحت المحاولة لكان في ذلك نفعاً وأي نفع تجاري كبير لليمن ، بالاضافة الى الشرف الديني . لابد أن تحويل الاسواق الموسمية والاتجاه الروحي الى اليمن لم يكن من همّ أبرهة وحده ، فالمعقول ان يكون حكام اليمن – من اهل الحبشة او اليمن نفسها – قد حاولوا منذ عهود بعيدة نفس المحاولة بانشاء كعبة ، أي مكة ، اكبر من مكة وسموها باسم اكبر من اسمها ايضاً اي مكة الكبرى مثلا (مكورابا) ! هذا احتمال على كل حال ، إن صح كان فيه تفسير التسمية ، وكان دليلا على أن (مكة) قد صارت (مكورابا) في اليمن ومنها هاجرت الى الحبشة ، لا العكس ، وعلى أنها صارت تعني المعبد وحسب بعد مر الاجيال .

ويقول اللغويون العرب ان (المحراب) بالعربية مقتبس من الحبشية والاغلب انهم يقصدون من (مكورابا) . لا اعتراض لدينا على ذلك . لكن لدينا سؤال : هل من مكورابا الحبشية أم اليمنية ؟

الامر الطبيعي ان يكون (المحراب) استعمل بمعنى ديني أول الأمر. وقد تخصص في الإسلام بالمكان الذي يقف الإمام حياله في الصلاة ليسجد فيه ويكون المنبر في مساجد الجمعة عن يمينه .

اما لغوياً فالمحراب : اكرم موضع في البيت أو المسجد. فهذا يشير إلى أنهم كغيرهم من الامم كانوا يتخذون في دورهم مكاناً للعبادة يقيمون فيه الاصنام او الصور يتعبدون لها ، وبكلمة موجزة ان المحراب كان يعني : معبد البيت ، ثم انتقل الى المسجد .

ومن معانيه اللغوية كذلك : الغرفة ، والغرفة العالية يُرتقى اليها ، وصدر المجلس ، واكرم مجالس الملوك اي مجلس الملك ينفرد به عن جلسائه ، وما الى ذلك . ومنه «محاريب غُمدان باليمن» ، يقصدون قصر غمدان.

فمحاريب غمدان هذي ، وقول ابي العلاءانه دخل محرابا من محاريب حمير فنفخ في وجهه ريح المسك— يجعلنا نرى من المحتمل أن تكون كلمة المحراب أيضاً قد نشأت في اليمن .

ومن تطورات معاني المحراب وتقلباتها صار يعني مأوى الاسد ! هنا يقدم لنا فن التأويل نموذجاً من طرائف تخبط اللغويين ، هو قول اللسان : «وقيل سمي المحراب محرابا لان الإمام اذا قام فيه لم يأمن ان يلحن ويخطيء فهو خائف مكاناً كأنه مأوى الاسد»! .. ولله في مفسّريه شؤون .. وشجون .

على ما تقدم نستطيع ترسيس كلمة المحراب ، أي ارجاعها الى رسّها البديء على تسلسل يستعرض المراحل التي اجتازتها ، والصيغ التي تقمصتها واحدة بعد واحدة، فيما يشبه تناسخ الارواح .. على هذه الوثيرة :

بج بج بج : لاسكات الطفل — **البَخّ** : سكوت الغضب — **بخ بخ** : تعبير عن الرضا ، فالاستحسان، فالمدح ، فالفخر ، فالتعظيم والتفخيم ، فالجاه والحظوة عند السلطان — **به به** : مثل بخ بخ — **البخ** : الرجل السَرِيّ — **البكّ والباي**: من ألقاب السراوة والرفعة — **بكّ** : إلاه كنعاني — **بكّة**: الكعبة — **مكة** : البلدة المحيطة بها — **بكّه** (baga) : إلاه بابلي به سميت بغداد — **مكورابا** : المعبد بالحبشية ، والاغلب أن الصيغة تكونت بمعنى مكة الكبرى في الحميرية — **المحراب** : المعبد ، ثم المعبد الخصوصي في البيت ، ثم اكرم غرفة أو مكان في الدار ، ثم مجلس الملك الذي ينفرد فيه عن جلسائه ، والظاهر أنهم يقصدون به سرير الملك.

أقدس موضع عند المسلمين أي (مكة) قد سمي اذن بأقدس كلمة عندهم أي اسم الله .